٣ ـ عبد الله بن ســـبأ

للدكتور جواد علي

رأيت أن أقدم رواية وردت إلينا عن « عبد الله بن سبأ » هي رواية تعود إلى القرن الثالث للهجرة . وهي أقدم من رواية الطبري ، والطبري أول من تعرض « لابن سبأ » في تفصيل واطناب بالنسبة لحوادث الفتنة . وقد تعرض « أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي وهو من رجال القرن الثالث للهجرة ومن رجال الشيعة لعبد الله بن سبأ في معرض كلامه عن فرق الشيعة ؛ وهي رواية مهمة لأنها تمثل رأي الشيعة في هذا الرجل ، وما قالوه فيه . وأنت إذا ما قرأت ما كتبه النوبختي عن « السبأية » تيقنت من أن بعض علماء الكلام قد نقلوا عنه .

قال النوبختي : « السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك . فأخذه عليّ فسأله عن قوله هذا فأقر به ، فأمر بقتله . فصاح الناس إليه : يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيره إلى المدائن . وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب عليّ عليه السلام ، أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ؛ وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع ابن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة ؛ فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام بمثل ذلك . وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه .

فمن هنا قال المخالفون إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية . ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه : كذبت ! لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة ، وأقمت على قتله سبعين عدلا ، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ؛ ولا يموت حتى يملك الأرض .

والنوبختي من المعاصرين لابن قتيبة الدينوري صاحب كتاب المعارف « المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة » وللطبري « المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة » ولابن عبد ربه « المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة » . ولعالم شيعي آخر ذكر « ابن سبأ » بعبارة تكاد تكون عبارة النوبختي بعينها وهـــذا الرجل هو « أبو عمر ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي » صاحب كتاب « معرفة أخبار الرجال » وقد عاش في بغـداد وكانت داره من الدور المقصودة ، وملتقى طلاب العلم . ولابد لنا من ذكر عبارة الكشي عن « عبد الله ابن سبأ » لنتمكن من تكوين فكرة عنه وعما ورد فيه

وقد أخذ الكشي روايته هذه — على ما يقوله — عن ابن قولويه عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف القميّ عن محمد بن عثمان العبدي عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان عن أبيه ، وتنتهي هذه السلسلة بالإمام جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ للهجرة . والمعاصر للخليفة العباسي المنصور .

جاء في كتاب معرفة أخبار الرجال أن الإمام قال « إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى عن ذلك) ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال نعم أنت هو ، وقد كان ألقى في روعي أنك أنت الله وأني نبي . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويلك لقد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب . فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب ، فأحرقه بالنار وقال إن الشيطان استهواه فكان بأنيه ويأتي في روعه ذلك » .

وذكر رواية أخرى هي أن الإمام جعفر الصادق ذكر عبد الله بن سبأ فقال « لعن الله عبد الله بن سبأ ! إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً . الويل لمن كذب علينا ؛ وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم ؛ نبرأ إلى الله منهم » . إلى أن قال « ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ، وكان يقول وهو على يهوديته في

لن هذه القوة إذن ؟ إنها الاتحاد الذي جعل النحل تهزم جيشاً بأسره ، ومكن للبراغيث أن تخرج (الفرعون) من قصره . وإنها للعلم الذي ينقـل على أجنحة النحل قدائف تدك الدن ، وينبت في أقواه البراغيث أنياباً تقتل الفيلة . وإنها المال الذي يسخر المصانع الأمريكية لتسليح اللص ، ويجبر الممالك الأوربية على تأييد الباغي .

فهل أعد العرب العدة لهذه الأقانيم الثلاثة ، أم لا يزالون يعتمدون في دفاعهم على الفتح والوراثة ؟ أحمد حسن الزيات

يوشع بن نون وصى موسى بالغلو فقال بعد إسلامه ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه السلام مثل ذلك . وكان أول من أشهر القول بفرض إمامة على ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فمن ههنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية » (١) .

والعبارة الأخيرة هى نفس العبارة التى ذكرها النوبختى فى كتابه « فرق الشيعة » عن عبد الله بن سبأ ، وحيث أن الشخصين كانا متعاصرين ، فمن الجائزان يكون قد نقل أحدهما عن الآخر ، غير أن مقدمة خبر كل واحد منهما عن « عبد الله ابن سبأ » وعن السبائية تدل على أنهما أخذا معا من مصدر آخر لعله أقدم من مصدرهما . والظاهر أنهما أخذاه عن كتاب لا رواية لأن الكشى يسلك سبيل الأخباريين والرواة فيذكر عادة فى كل رواية سلسلة الرواية ، ولم يفعل ذلك فى هذه العبارة التى يظهر أنها كانت عبارة كتاب آخر وأنهما نقلاها نقلا يكاد يكون حرفياً من « ذكر بعض أهل العلم » إلى آخر هذه الفقرة . ولعلهما نقلا ذلك عن كتاب آخر يعود إلى سعد بن عبد الله الأشعرى القمىّ المتوفى سنة ٢٩٩ أو ٣٠١ للهجرة ، وهو عالم له مصنف فى هذا الموضوع .

ومما يستحق الملاحظة كذلك أن النوبختى كان قد ذكر فى آخر خبره عن السبأية أن عبد الله بن سبأ لما بلغه خبر مقتل الإمام علىّ وهو بالمدائن « قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا ، لعلمنا أنه لم يمت ، ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض »(٢) .

وهذه العبارة قريبة فى المعنى من العبارة التى ذكرها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » والتى نسبت إلى جرير بن قيس ، ولعلهما أخذا من منبع واحد واستعمل كل واحد منهما العبارة التى اختارها لهذا المعنى .

ونجد فى كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر ابن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة ذكراً « لعبد الله ابن سبأ » فى معرض حديثه عن الفرق ومنها فرقة « السبأية » اتباع عبد الله بن سبأ وقد سماهم « السبابية » وقد عرفت هذه التسمية بهذه الصورة فى كتب أخرى (١) . وقد نقل عنه « أبو المظفر عماد الدين شاهفور طاهر بن محمد الاسفرائينى المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة (٢) . نقل عنه نقلا يكاد يكون بالحرف . لذلك يكرر ما ذكره البغدادى فى هذا الباب . واختص عبد الرازق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرسعنى من رجال القرن السابع للهجرة كتاب البغدادى وأدخل ما ذكره البغدادى فى كتابه (٣) .

ويعد كتاب « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ من أهم المراجع التى تعرضت لبحث « عبد الله بن سبأ » وأتباعه « السبائية » وقد اعتمد عليه جماعة من العلماء منهم الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦ للهجرة (٤) وعلى الأخص المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة . الذى نقل عنه نقلا حرفياً (٥) ؛ ثم المؤرخ الشهير ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (٦) . والجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ للهجرة صاحب « شرح المواقف » فى علم الكلام للإيجى المسمى « المواقف فى علم الكلام » (٧) .

ونضيف إلى هذه المراجع ما ذكره ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ للهجرة فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وقد دعاهم « السبابية » (٨) . وما كتبه أصحاب الكتب الأخرى .

(البقية على صفحة ٤٥٢)

(١) كذلك .

(٢) فرق الشيعة ص ٢٢

(١) راجع عنه ابن خلكان « وفيات الأعيان » طبعة « ده سلان » حـ ١ ص ٤١٥ وطبعة مصر حـ ١ ص ٤٢٣ ، الكتبى « فوات الوفيات » طبعة مصر سنة ١٢٩٩ حـ ١ ص ٢٩٨ ، السبكى طبقات الشافعية الكبرى المطبعة الحسينية حـ ١ ص ٢٢٨ و حـ ٣ ص ٢٣٨ فما بعد .

(٢) راجع عنه السبكى طبقات حـ ٣ ص ١٧٠ ، له « التصير فى الدين » وكتاب التفسير الكبير Brockilmann , Suppz , 1 , P 731 956

(٣) راجع كتابه « مختصر كتاب الفرق بين الفرق » إخراج الدكتور فيليب حتى مصر مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤

(٤) راجع كتابه « المواقف فى علم الكلام » طبعة Sarensen ص ٣٤٢ وله كتب أخرى راجع فى تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان حـ ٣ ص ٢٥١

(٥) المقريزى خطط حـ ٢ ص ٣٥٢

(٦) راجع المقدمة طبعة « Quatremére » ص ٣٠٨

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية حـ ٣ ص ٢٥١

(٨) راجع طبعة مصر سنة ١٣١٧ — ١٣٢١ للهجرة فى خمسة مجلدات .